Adnan MELHEM ¹

**A CRITICAL STUDY INTO THE METHODOLOGY OF KITAB
AL-TABAQAT AL-KUBRA BY MOHAMMAD IBN SA'D
(230H/844 A.D.)**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.6-3.32>

Research Article

Received:

16/04/2021

Accepted:

07/06/2021

Published:

01/07/2021

This article has been
scanned by iThenticat
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

Born to a modest family in Al-basra 168 H/ 78 A.D., spent most of his life in Baghdad, with a distinguished record of achievements, Mohammad Ibn Sa'd has built a reputation as one of the major scholars in history, Hadith, Islamic Fiqh, language and lineology. Ibn Sa'd is known most for laying the foundations for authorship, text analysis and criticism. His most renowned work Kitab Al-Tabaqat Al-kubra was classified as an encyclopedic chronicle of Islamic history, science, politics, economics and sociology up to the year 230 H/ 844 A.D. The book was also considered a classic in the synchronic depiction of social class. This study critically examines Ibn Sa'd's aims from writing history in an attempt to provide new insights into the historical method the author used in his classic work.

Key words: Mohammad Ibn Sa'd, Al-Tabaqat Al-Kubra, Islamic History.

¹ Dr. , An-Najah National University, Palestine, melhem@najah.edu, <https://orcid.org/0000-0003-2716-4227>

محمد بن سعد (ت 230هـ/844م) وكتابه الطبقات الكبرى دراسة في المنهجية

عدنان ملحم²

الملخص

محمد بن سعد، بصري المولد، بغدادى الإقامة. من أسرة متواضعة، امتلك علماً وثقافة مميزة، ويُعتبر أحد رموز التاريخ والحديث والفقه واللغة والأنساب. زوّد صناعة التاريخ العربي بالأسس والقواعد اللازمة لفهم وتحليل ونقد النص وأصحابه. يعد كتابه "الطبقات الكبرى" عبارة عن موسوعة تراجم لكل فعاليات التاريخ الإسلامى منذ البعثة النبوية وحتى عام 230هـ/844م، وتحديدًا في المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى أنّه من المصادر الأولى التي أرست معالم علم الطبقات والتراجم المرتبطة بزمان ومكان محددين. يسعى هذا البحث لتقديم دراسة جديدة عن المنهجية التاريخية التي استخدمها المؤلف في مُصنّفته، وإلقاء الضوء على الفكرة التاريخية التي أودعها تراجمه ونصوصه. **الكلمات المفتاحية:** محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، التاريخ الإسلامى.

المقدمة:

ولد محمد بن سعد بن منيع (السمعاني، 1981، ج10، ص307) عام 168هـ/784م (الذهبي، 1994، ج10، ص664) في البصرة (البغدادى، 1980، ج5، ص321). لم يرّد في المصادر المختلفة أية معلومات عن نشأته وأسرته الصغيرة، لكن يعتقد بأنها كانت متوسطة الحال، تعمل في قطاعات اقتصادية متواضعة، فتوفر احتياجاتها اللازمة. (الصفدي، 1974، ج3، ص88)، ويعزز ذلك المعلومات الأخرى التي أشارت إلى أن أباه أو جده كانا من موالى بني هاشم (البغدادى، 1980، ج5، ص322)، وقيل من بني زهرة (السمعاني، 1981، ج10، ص307). كني محمد بن سعد بأبي عبد الله (ابن النديم، 1971، ص111)، ولقب بالبصري نسبة إلى مولده (ابن خلكان، 1978، ج4، ص351)، أما لقب البغدادى، فبسبب إقامته الدائمة في العاصمة العباسية بغداد (ابن حجر، 1908، ج9، ص182). وعرف بصاحب (الرازي، 1952، ج3، ص262) وغلّام (السمعاني، 1981، ج10، ص307) وكتب الواقدي: محمد بن عمر (ت207/823م)؛ شيخه الذي ترك بصمته العلمية والفكرية على مسيرته (ابن النديم، 1971، ص111). طلب العلم صبيّاً وعمره عشر سنوات، ولحق بالكبار؛ بسبب نبوغه العقلي (الذهبي، 1994، ج10، ص664)، وتلقى العلم على يد أبرز المحدثين والفقهاء والمفسرين والمحدثين واللغويين والتّسابيين والمؤرخين الموزعين على مراكز العلم والثقافة آنذاك: البصرة والكوفة وبغداد ومكة والمدينة. ومن شيوخه: موسى بن عقبة (ت141هـ/758م) ومحمد بن اسحاق (ت151هـ/768م) ومعمّر بن راشد (ت154هـ/770م) ونجيح بن عبد الرحمن السندي (ت170هـ/786م) ومعن بن عيسى (ت198هـ/813م) وعمارة بن القداح (ت204هـ/819م) وهشام بن محمد بن السائب الكبي (ت204هـ/814م) والفضل بن دكين (ت219/834م) وعلي بن محمد المدائني (ت225هـ/839م). إلا أنّ أهمهم على الإطلاق، كما هو مؤكّد، أستاذه الواقدي: مؤسس المدرسة التاريخية التحليلية التي اعتنت بالمكان والزمان (الذهبي، 1994، ج10، ص664-665). وأشارت المصادر نفسها إلى مجموعة من تلاميذه، ممن برعوا في مجال الأدب والشعر والتاريخ والأنساب والحديث، ومن أبرزهم: المؤرخ والنسابة الشهير البلاذري، أحمد بن جابر (ت279هـ/892م). وعبد الله بن محمد، أبو بكر بن الدنيا (ت281هـ/894م) والحرث بن محمد بن أبي اسامة (ت282هـ/895م) والحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم البغدادي (ت289هـ/901م) (ابن حجر، 1908، ج9، ص182).

² د.، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، melhem@najah.edu

وصف ابن سعد بأنه ثقة (ابن خلكان، 1978، ج4، ص351) حافظ حجة (الذهبي، 1994هـ، ج10، ص664) العالم (ابن النديم، 1971، ص111) الإمام (ابن تغري بردي، 1992، ج2، ص313) الحبر (الياضي، 1970، ج2، ص100) المستور (ابن النديم، 1971، ص111) الصادق (الرازي، 1952، ج3، ص262) من أهل العدالة (البغدادي، 1980، ج5، ص322) أحد الفضلاء والنبلاء (ابن خلكان، 1978، ج4، ص351).

ورفض علماء الجرح والتعديل اتهام شيخ المحدثين يحيى بن معين (ت233هـ/847م) له بالكذب (السمعاني، 1981، ج10، ص307) واعتبر القول بتشيعه كلاماً بدون دليل أو سنداً حقيقياً (يونس، 1984، ج1، ص16). وفي عام 218هـ/833م أمر الخليفة العباسي السابع المأمون (حكم ما بين 218-198هـ/833-813م) مجموعة من العلماء وفي مقدمتهم ابن سعد، بتبني قضية خلق القرآن، فأقروا جميعاً بذلك مكرهين، تحت التهديد بالقتل أو السجن أو الجلد (ابن الأثير، 1995، ج6، ص423). ويظهر التدقيق في ترجمات عدد من الشخصيات العلمية التي وردت في كتاب الطبقات الكبرى، ورفضت تبني القضية ذاتها، اعجاب ابن سعد الواضح بموقفها الرافض لفكرة خلق القرآن (ابن سعد، 1997، ج7، ص253). توفي ابن سعد "يوم الاحد لأربع خلون من جمادي الآخرة سنة ثلاثين ومائتين للهجرة" (ابن سعد، 1997، ج7، ص258)، وهذا هو التاريخ الأدق؛ لأن مصدره هم تلامذته الأوفياء، ولذلك، فإنه لا يُعتد بالتواريخ الأخرى، مثل: (222هـ/836م) الصفدي، 1974، ج3، ص88) و (236هـ/850م) (الرازي، 1952، ج3، ص262). ودفن في مقبرة باب الشام في بغداد، وكان له من العمر اثنتان وستون عاماً (البغدادي، 1980، ج5، ص322).

إن "الطبقات" عبارة عن مصنفات تراجم ألزم أصحابها بإيراد قوائم يعيش أعضاؤها ضمن حدود فترات زمنية محددة مدتها عشرين، وقيل أربعين عاماً، أو أنهم ينتسبون إلى شيخ واحد، أو إلى تخصص علمي محدد أيضاً (السامرائي، 2010، ص477).

أما ولادة "الطبقات" فجاءت في القرن الثالث الهجري؛ نتيجة تفاعل دقيق لتطور مكونات المفاعيل المعرفية التي شهدتها المجتمع الإسلامي طوال القرنين الهجريين الأول والثاني، ولعل أهم المحطات التي تعكس هذه التطور، هي: أولاً: اهتم المحدثون بالمراحل الجهادية أو القتالية التي شارك فيها الرسول محمد (ص)، وأطلقوا عليها اسم (المغازي)، أو تلك التي جهزها ووجهها ولم يشارك فيها، وأطلقوا عليها اسم (السرايا). تجدر الإشارة إلى أنهم لم يفرقوا بين المفهومين في القرون الأولى، ليهدف ذلك الاهتمام إلى الاطلاع على الخطوات التي قام بها الرسول محمد (ص)؛ من أجل نشر دعوته عسكرياً (الدوري، 2000، ص23)، والاقتداء بها، بالإضافة إلى إبراز المنزلة الاجتماعية لكل الذين شاركوا في تفاصيلها، وتحديد مقادير استحقاقاتهم الحالية في ديوان المال العام (السلمي، 1984، ص243).

ثانياً: شهد مسار المغازي تطوراً جديداً من خلال ظهور ما عرف بالسيرة النبوية، والتي اعتنت، بشكل مفصل، بتتبع أحداث سيرة الرسول محمد (ص)، منذ ولادته حتى وفاته. ودمجت مكوناتها مادة وأساليب الأحاديث والقصص الشعبية والأخبار والدوريات والمغازي والسير، بالإضافة إلى تفاصيل عن حياة الصحابة أيضاً، وذلك ضمن هياكل واضحة مدعومة بالسند؛ بهدف التأكد من صحة الواقعة ومصادقية روايتها (السلمي، 1984، ص256)، وينسب هذا التطور إلى مجموعة من المحدثين وكتاب السير والأيام، ومن أشهرهم: عبد الله بن مسلم بن شهاب الزهري (ت124هـ/741م)، ومحمد بن اسحاق بن يسار المدني (ت151هـ/768م)، ثم الواقي (الدوري، 2000، ص23-24، ص30-33).

ثالثاً: أدى ظهور أمصار جديدة خارج الجزيرة العربية خلال الفترة نفسها إلى ظهور مجموعة من الإخباريين، الذين سجلوا فعاليات الفتوحات، وإظهار دور القبائل والعصبيات في أتونها، بالإضافة إلى التعريف بأوضاع هذه الأمصار في جميع المجالات، دون أن تتضمن كتاباتهم رؤية فكرية واضحة ومنهجية تاريخية دقيقة. ومن أهم أولئك الإخباريين: عوانة من الحكم (ت147هـ/764م)، ولوط بن يحيى (ت157هـ/773م)، وسيف بن عمر (ت180هـ/796م)، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى، والهيثم بن عدي (ت209هـ/824م)، وعلي بن محمد المدائني (ملحم، 2000، ص22، 25، 27، 30، 31، 34، 37، 71).

رابعاً: مع ولادة عصر المؤرخين الكبار مثل البلاذري واليعقوبي: أحمد بن يعقوب (ت292هـ/904م)، والطبري: محمد بن حرير (ت310هـ/922م) والمسعودي: علي بن الحسين (ت345هـ/956م)، دخل التاريخ مرحلة شمولية، تتمثل في تنوع المصادر، ووضوح الفكرة، وسلاسة العرض (ملحم، 2000، ص13-45، ص46-53).

أدت ارهاصات وتحولات المحطات السابقة إلى ظهور علم "الطبقات" كعلامة معرفية جديدة، هدفها إلقاء الضوء على صناعات حركة التاريخ في جميع المجالات السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية، وتقييم المصادر التي أوردت أخبارهم في عصر طغت فيه مستويات العصبية السياسية والحزبية والمذهبية والمناطقية (عبد العليم، 2013، ص40). متجاوزاً بذلك علم الجرح والتعديل الذي سار في خط موازٍ معه، واهتم بشخص وأحوال ومعارف رجال الحديث والسند، من خلال شروط دقيقة علت فيها ضوابط الأخلاقيات والسلوكيات أكثر من دراسة المحتوى وظروفه المرافقة (المشهداني، 1986، ج1، ص19-20)، ومرسماً أسس الدقة والمصادقية أكثر من علم التراجم والسير، الذي بدأ خافتاً خلال هذه

الفترة، وتوسّع خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، واهتم بدراسة شخوص حركة التاريخ بكل اشكالها، دون ضابط زمني أو مكاني أو تخصصي (السلمي، 1984، ص284، 286-287).

أخذ منهج "الطبقات" طريقة الواضح في دراسة تراجم المحدثين والفقهاء والأدباء والمؤرخين خلال القرن الثالث الهجري، ووضعت لذلك المصنفات العديدة، وفقد معظمها للأسف، ولم يصلنا منها سوى عدد محدود (خليفة، 1982، ج2، ص1013) ولعل أهم تلك المصنّفات، على الإطلاق، كتاب ابن سعد الشهير والموسوم بـ "الطبقات" (ابن حجر، 1908، ج9، ص182) الكبرى (ابن النديم، 1971، ص111)، وقيل الكبير (الذهبي، 1994، ج10، ص664). وقد اختصر لاحقاً، وأطلق عليه اسم "الطبقات" الصغير (ابن النديم، 1971، ص112)، ويعتقد البعض أن الكتاب الثاني قد صنف سعد فتحي سعيد نمراًولاً، واحتوى على تراجم محدودة، ثم قام المؤلف نفسه بالتوسع فيها (عبد العليم، 2013، ص34).

يتألف كتاب الطبقات الكبرى من قسمين رئيسيين، هما:

الأول: استعرض فيه تفاصيل سيرة الرسول (ص) منذ صغره وحتى وفاته، وراعى فيه الترتيب الزمني والموضوعي (ابن سعد، 1997، ج1، ص17-399 وج2، ص297-3).

أما القسم الثاني: وشمل معظم أجزاء الكتاب، وضم تراجم الصحابة والتابعين وتابعينهم، حسب الأقدمية والسبق في دخول الإسلام، ورتبهم بذلك في مجموعات أو طبقات متجانسة، وهي: البديريون من المهاجرين والانصار (ابن سعد، 1997، ج3، ص3-470)؛ المهاجرون والانصار ممن لم يشهدوا بدرأ، إلا أنّ إسلامهم كان قديماً، وهاجروا إلى أرض الحبشة، وشهدوا أحداً، وما بعدها من المشاهد (ابن سعد، 1997، ج4، ص3-284)، والتابعون حسب مناطق تواجدهم أو نزولهم في المدينة (ابن سعد، 1997، ج5، ص3-507) ومكة، والطائف، واليمن، والكوفة (ابن سعد، 1997، ج6، ص3-378) والبصرة، وواسط، والمدائن، وبغداد، وخراسان، والري، وهمدان، وقمم، والأنبار، والشام، والجزيرة، والعواصم، والثغور، ومصر، وأيلة، وأفريقية، والأندلس (ابن سعد، 1997، ج7، ص3-361)، وأخيراً طبقات النساء اللواتي لعبن أدواراً في نشأة وتطور وانتشار الدعوة الإسلامية (ابن سعد، 1997، ج8، ص3-359). وضم الكتاب بقسميه 4725 ترجمةً (ابن سعد، 1997، ج8، ص359).

واعتمد محمد بن سعد، في القسم الأول من كتابه، بشكل رئيسي، على مصنفات المغازي والسير التي وضعها كل من موسى بن عقبة، ومحمد بن اسحاق، ونجيج بن عبد الرحمن، وشيخه الواقدي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى (الحاج، 1990، ص173-178).

أما في قسمه الثاني فأخذ مادته من جمهور شيوخه من مختلف الأمصار والمشارب والتخصصات، وذلك عن طريق اللقاءات المباشرة أولاً، أو من خلال مصنفاتهم التي وضعوها ثانياً، وبلغ عددهم، حسب احصاءات دقيقة معاصرة، أكثر من 300 شيخ (الحاج، 1990، ص127-172).

ارتبطت أعداد التراجم في مناطق الكيان الإسلامي المختلفة بأعداد الصحابة والتابعين الذين نزلوها وأقاموا فيها، فكان أكثر وجود تلك الأعداد في المدينة؛ باعتبارها عاصمة الحدث (ابن سعد، 1997، ج5، ص3-506)، ثم الكوفة (ابن سعد، 1997، ج6، ص91-378)، والبصرة أيضاً (ابن سعد، 1997، ج7، ص3-225)؛ للأسباب نفسها. أما أقل وجودها فكان في أيلة وأفريقية والأندلس (ابن سعد، 1997، ج7، ص360-361)؛ وذلك، لأنّ هذه المناطق، ربما، لعبت أدواراً سياسية وعلمية وثقافية محدودة خلال الفترة التي عاشها المؤلف نفسه. (هادي، رياض، ودحام، آمنة، 2014، ص23).

احتوت تراجم ابن سعد على معلومات مهمة حول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والعلمية لحركة المجتمع الاسلامي منذ نشأته، وحتى بدايات القرن الثالث الهجري، وقد شكلت هذه الترجمات قاعدة رئيسية اعتمدت عليها معظم المصادر التي صنفّت لاحقاً، ورفدت المكتبة العربية بجميع فروعها.

عرض ابن سعد مادته بشكل مركز، واستخدم الاسناد الجمعي كثيراً، الأمر الذي سهل عليه طرح الموضوعات ذات المواد المشتركة (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج1، ص198-220)، واهتم بإبراز عصري الزمان والمكان في مادته بشكل مثير للانتباه (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج2، ص233)، وحرص على نقد وتقييم المواد التي طرحها في مصنفة (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج3، ص23، 75)، وأولى الأنساب حرصاً كبيراً في طبقاته (ابن سعد، 1997، ج7، ص69)، واستشهد في ترجماته كثيراً بآيات القرآن الكريم (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج2، ص25، 45، 211)، والأحاديث النبوية الشريفة (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج2، ص151-150)، والخطب (انظر مثلاً: ابن سعد، ج5، ص68-69)، والرسائل (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج1، ص208-221)، والشعر (انظر مثلاً: ابن سعد، 1997، ج2، ص244-253).

تفاوتت أحجام الترجمات التي أوردها في مصنفه مع حجم مشاركتها في حركة التاريخ الإسلامي، وحسب الأسس التي اعتمدها في تقسيم طبقاته. (انظر مثلاً: ابن سعد/ 1997، ج4، ترجمة 344 ص3-31 وترجمة رقم 349، ص36) ولم يلتزم بالترتيب أو التقسيم الزمني في عرض مادة ترجماته داخل كل طبقة أو قاعدة، بل اعتمد على أسس ومفاضلات خاصة تتعلق برؤيته لمكانة دور كل منها في حركة ومسار التاريخ الاسلامي (الحاج، 1990، ص74)، ويؤخذ عليه تكراره

لترجمات شخصياته أكثر من مرة؛ وذلك بسبب تقاطعها مع أكثر من أساس اعتمد عليه في تنظيم أو ترتيب طبقاته (الحاج، 1990، ص 92).

على الرغم من كثرة الدراسات التاريخية والنقدية التي سلطت الضوء على مسيرة ابن سعد، وكتابه الشهير "الطبقات"، إلا أن هناك نقصاً حاداً في الدراسات التي اهتمت بتوضيح الرؤية التاريخية التي تبناها المؤلف، وطرحها في مادته. ولعل ذلك مرده إلى أن دراسة وتقييم المصادر التاريخية، يحتاج، أولاً، إلى جهد كبير في البحث والتحليل والتعليل والمقارنة والنقد. وثانياً، فإن معظم المشاركين في مسيرة الحضارة الإسلامية خلال العصور المختلفة، حرصوا على عدم التصريح بمواقفهم بشكل مباشر، وذلك للحيلولة دون اشتباكهم مع أركان القرار السياسي والفكري والمذهبي المهيمن على تفاصيل الحياة في مجتمعاتهم.

انطلق ابن سعد في صياغته لمادة كتابه من إيمانه الواضح بأن الإنسان هو أهم صنائع التاريخ، وقيادة حركته، سواء كان رسولاً أو نبياً أو صحابياً أو عالماً أو مثقفاً أو قائداً أو مقاتلاً، وترتبط نسبة مشاركته أو تأثيره في هذه الحركة ارتباطاً وثيقاً بدوره ومكانته وشخصيته وبيئته.

وبناء على كل ذلك فقد أكد ابن سعد في استعراضه لحياة ومسيرة ومغازي الرسول محمد (ص) على أن الكلام يتعلق بإنسان اختاره الله ليكون رسولاً أو رائداً للإنسانية جمعاء، يحمل على عاتقه مهمة ترسيخ أسس العدالة والمساواة ومحاربة الظلم، وإقامة مجتمع الفضيلة التي تتلاقى فيه أوامر ووصايا السماء مع حاجات البشر، بالإضافة إلى أنه شخصية مكملة لسلسلة الرسالات التي بدأت منذ آدم، وانتقلت إلى مجموع الأنبياء والرسل، حتى وصلته في مرحلتها الأخيرة أو النهائية (ابن سعد، 1997، ج 1، ص 17-49، 270-272).

وجدد ابن سعد في نصه الذي رصد فيه حياة الرسول محمد (ص)، دعوته بأن الأديان هي مزيج متكامل من العقائد والعبادات والأخلاق والسلوك والحياة، وأن مهمة الإنسان الرئيسة هي رؤية تطبيقها على الأرض، وبشكل فعلي، وليس قولاً (ابن سعد، 1997، ج 1، ص 198-221، 270-272).

واستعرض جميع جوانب حياة الرسول محمد (ص) من جميع الزوايا، ذاكراً صفاته الخلقية والأخلاقية، ومسلطاً الضوء على حضوره المجتمعي والإنساني، ومتوقفاً أمام علامات النبوة التي ظهرت عليه، ثم الحديث عن إعلان دعوته، والصعاب التي رافقت ذلك الإعلان في مهد الدعوة النبوية في مكة، ولجوء أتباعه إلى الحبشة، ليقوم النبي بعد ذلك بطرح دعوته على قبائل العرب في مواسمهم، ثم هجرته إلى المدينة، ووفود القبائل عليه، معترفة برسالته وسلطته ودعوته (ابن سعد، 1997، ج 1، ص 118-221، 269-272). تجدر الإشارة إلى أنه توسع في تسليط الضوء على شخصية الرسول محمد ٢ وطباعه، وسلوكه، وممتلكاته، وتفاصيل حياته الخاصة، وتصرفاته الإنسانية، وأراد ابن سعد، في هذا العرض الشامل، تقديم شخصية الرسول محمد (ص) ببعدها الإنساني ونموذجها الراقي والمميز: يجوع ويقلق ويتزوج وينجب ويمرض ويتألم ويموت ويكفن ويدفن (ابن سعد، 1997، ج 2، ص 129-230).

وأوضح من خلال تتبعه لأحداث القسم الأول من طبقاته حرص الرسول محمد (ص) على احترام وتقدير العنصر القبلي في الجزيرة العربية وخارجها، وضرورة التحالف والتوازن والتصالح مع أركان ذلك العنصر وأجسامه، كخطوة أولى نحو انخراطه ودخوله في أتون الدين الجديد، ونظامه العتيد. وشرح من خلال روايات متكاملة الغزوات والسيارات التي قادها أو جهزها من أجل نشر الدعوة الإسلامية، وذكر تفاصيلها بشكل دقيق (ابن سعد، 1997، ج 2، ص 3-148).

كما أبرز ابن سعد، وبشكل متوازن، احترام وتقدير الرسول محمد (ص) لرموز وأتباع الفكر الديني السماوي (اليهودية والمسيحية) الذي كان منتشرًا في الجزيرة العربية وخارجها، ومحاولاته الحثيثة لدمجهم في دعوته الجديدة، باعتبار أن مصدر كل هذه الأديان واحد، وتشترك مضامينها بما يحمله الدين الجديد (ابن سعد، 1997، ج 1، ص 198-221).

وأشار إلى فشل هذه المحاولات؛ بسبب إصرار كل ديانة منها على الاستقلال الخاص بها، وتطور الأمر إلى صدام عسكري مع أتباع الديانة اليهودية، بعد أن عملوا، بشكل مُنظم، على مقاومة امتداد وانتشار الدين الجديد، كما شهدت العلاقة مع أتباع الديانة المسيحية تصالحاً مجتمعياً واضحاً، ثم ذكر القواعد والأسس التي وضعها الرسول محمد (ص) للتعامل مع الديانتين تحت سلطة وحكم إسلامي خالص (ابن سعد، 1997، ج 1، ص 222-269).

وفي طريق حزمه وتصديه للفكر والسلوك المعتقد غير السماوي وعلى رأسه الوثنية، تبني الرسول محمد (ص) أسلوب التدرج والحوار والتحالف والمصالح والاحتواء، وصولاً إلى مرحلة دخول الدين الجديد أو الخضوع لسلطته (ابن سعد، 1997، ج 1، ص 101-105).

ورصد ابن سعد حركة المجتمع الإسلامي في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية من خلال تراجم شاملة لآلاف الشخصيات الفاعلة فيه، والتي قامت على أكتافها الانتصارات التي حصلت داخل الجزيرة العربية، وفي الأمصار الجديدة: الشام والعراق ومصر.

وتتبع تطور مؤسسة الخلافة ودواوينها وأجهزتها المختلفة، وتفاعل الجماهير معها في فترة صدر الإسلام، بالإضافة إلى أحداث الردة والفتنة الكبرى: حصار ومقتل الخليفة عثمان بن عفان، والصراع بين معسكري عائشة (أم المؤمنين)

وطلحة بن عبيد الله والوزير بن العوام من جهة، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى، ثم الصراع الآخر بين معسكري الخليفة الرابع علي من جانب، ووالي الشام القوي معاوية بن أبي سفيان من جانب آخر، وما تبع ذلك من تطورات واتفاقات وتحالفات (ابن سعد، 1997، ج3، ص (13-61، 84-8، 168-169)).

وحرص ابن سعد على عدم الخوض، بشكل مفصل، في أحداث الفتنة الكبرى، إلا بالقدر الذي يلائم دور شخصيتها فيها. ولذلك، يلاحظ، بشكل واضح، تعاطفه ودعّمه لعلي بن أبي طالب في صراعه مع معاوية بن أبي سفيان في أحداث معركة صفين وما تبعها من أحداث انتهت بمقتله على يد الخوارج عام (40هـ/660م)، كما أنّه قدّم شخصية علي بطريقة مثالية تمتلك الكثير من الخوارق التي لا يمتلكها البشر (ابن سعد، 1997، ج3، ص (24-25، 27-29)، وبالمقابل أورد ترجمة قصيرة جداً عن شخصية معاوية بن أبي سفيان، لم تعطه حقه الكامل كأحد أبرز الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الدعوة الإسلامية (ابن سعد، 1997، ج7، ص285)، وهو ما ينطبق أيضاً على حليفه الاستراتيجي ورفيقه في أحداث الفتنة الكبرى عمرو بن العاص (ابن سعد، 1997، ج4، ص191-197).

وتبنى ابن سعد رؤية خاصة للدولة الأموية كنظام سياسي ولد بطريقة غير عادلة تجاوز حقوق ومكانة من انتصرت، على أيديهم، مبادئ الإسلام ومنهجه العادل بالحكم (ابن سعد، 1997، ج7، ص285، 307).

وبالمقابل، فقد أطنب في ذكر فضائل العباس بن عبد المطلب ونسله، وأظهر دورهم في انتصار الدعوة الإسلامية، والدود عنها كل المصاعب والمؤامرات التي حبكت حولها (ابن سعد، 1997، ج4، ص3-24، ج7، ص310).

ويلاحظ ضمور تأثير بناء الكيان الإسلامي الأوائل مع انتهاء القرنين الأول والثاني الهجريين لصالح شخصيات (التابعين) التي عاصرت أدوارهم وشخصيتهم. وخاصة أن عامل (اللقيا) أو (التزمن الزمني) والنسب كان مهماً عند ابن سعد في ترجماته (الحاج، 1990، ص82).

وبسبب انتقال موطن الثقل السياسي والاقتصادي والفكري والعلمي من الجزيرة العربية إلى الأمصار الجديدة، بفعل الفتوحات الإسلامية التي تمت، خاصة، في عصر الخلافة الراشدة، وبشكل محدود، خلال العصر الأموي، قام ابن سعد بمتابعة الشخصيات التي تنطبق عليها أسس الترجمات التي وضعها في قسمه الثاني من الطبقات، مسلطاً الضوء على دورها في جميع المجالات (ابن سعد، 1997، ج6، ص86، وج7، ص3، 226، 231، 233، 268، 269).

ولعل الأهم في كتاب "الطبقات"، هو طبقة النساء اللواتي لعبن دوراً مميزاً في نشأة الكيان الإسلامي، وانتصار دعوته، أنظر مثلاً: (ابن سعد، 1997، ج8، ص (11-15، 46-64)، مبرراً قوة وتأثير العنصر النسائي في مجتمع ذكوري، الذي نظر إليه من منظار المتعة والانجاب، فالمرأة، ربما، كانت تشكل عبئاً على الرجال في حمايتها؛ لغايات الشرف ونقاء النسب (هادي، رياض، ودحام، آمنة، 2014، ص24).

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، علي. (1999). الكامل في التاريخ. ط1. دار صادر. بيروت. لبنان.
- البغدادى، الخطيب. (1980). تاريخ بغداد. ب. ط. الكتب السلفية، المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية.
- ابن تغري بردي، يوسف. (1992). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- جونس، مارسدن. (1984). مقدمة تحقيق كتاب المغازي للواقدي. ط3. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- ابن حجر، أحمد. (1916). تهذيب التهذيب. ط1. دار المعارف النظامية. حيدر أباد. الهند.
- الحاج، زيد. (1990). ابن سعد ومنهجه في كتابة التاريخ. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية. عمان. الأردن.
- حاجي خليفة، مصطفى. (1982). كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. ب. ط. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- ابن خلكان، أحمد. (1978). وفيات الاعيان وابناء الزمان. ب. ط. دار الثقافة. بيروت. لبنان.
- الدوري، عبد العزيز. (2000). نشأة علم التاريخ عن العرب. ط1. مركز زايد للتراث والتاريخ. ابوظبي. الامارات العربية المتحدة.
- الذهبي، محمد. (1994). سير اعلام النبلاء. ط10. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.
- الرازي، عبد الرحمن. (1952). الجرح والتعديل. ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- ابن سعد، محمد. (1997). الطبقات الكبرى. ط2. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- السلمي، محمد. (1984). منهج كتابة التاريخ الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القرى. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- السمعاني، عبد الكريم. (1981). الانسان. ط1. محمد دمج. بيروت. لبنان.
- الصفدي، صلاح. (1974). الوافي بالوفيات. ط2. فرائز شتاينز، فيسبادن. ألمانيا.

- عبد العليم، رزق. (2013). مرويّات الخلافة الراشدة في طبقات ابن سعد. ط 1. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الكويت. الكويت.
- المشهداني، محمد. (1986). موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف. ط 1. مكتبة الطالب الجامعي. مكة . المملكة العربية السعودية.
- ملحم، عدنان (2000). المؤرخون العرب والفتنة الكبرى. ط 2. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.
- ابن النديم، محمد. (1988). الفهرست. ط 1. دار السيرة. بيروت. لبنان.
- هادي، رياض، ودحام، امنية . (2014). ابن سعد ومنهجه في الطبقات الكبير: دراسة في السيرة النبوية. مجلة كلية العلوم الاسلامية. البصرة. العراق. المجلد 8 العدد 5. 1-33.
- اليافعي، عبد الله. (1970). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. ط 2. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. لبنان.